إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة سبتمبر ٢٠١٦م

صفات راعٍ حكيم

(٩) لا أتسلط أنا عليكم

"وقال رجال إسرائيل لجدعون تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان. فقال لهم جدعون لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابني عليكم. الرب يتسلط عليكم" (قض٨: ٢٢-٢٣). هذا النص الرائع من سفر القضاة يرسخ لمبدأ هام جداً في الخدمة وهو أن السلطان في الكنيسة هو سلطان الرب وليس سلطان الكاهن ولا زوجته ولا ابنه. وعلى الرغم من أنني تحدثت عن هذا الموضوع من قبل في رسالة شهر أكتوبر ٢٠١٥ عندما تناولت موضوع "الإساءة الروحية" *Spiritual Abuse* إلا أنني أود إضافة بعض النقاط الأخرى للرسالة السابقة لأهمية هذا الموضوع، ولما يسببه انتشار هذا الداء الخبيث بين الكهنة من عثرة للمخدومين.

من الأمور المؤسفة أنه من بين المصطلحات التي انتشرت حديثاً مصطلح "القطيع المعَنّف" *Battered Sheep* على غرار مصطلح "الزوجة المعَنّفة" *Battered Wife* ومن علاماته:

(١) إدعاء الكاهن أن كل ما يقوله هو من الله حتى لو كان رأياً شخصياً بحتاً. "وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي" (تث١٨:٢٠). وما هي يا ترى تلك الآلهة الأخرى التي قد يتكلم بها الكاهن سوى آلهة الذات، والهوى الشخصي؟

(٢) المبالغة في استخدام الأمر بالطاعة للضغط على المخدومين وتخويفهم من لعنة عصيان الكاهن. "فدعاهم يسوع وقال أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبداً" (مت٢٠: ٢٥-٢٨)

(٣) إعطاء التعليمات بلهجة آمرة دون التحفيز والتشجيع بحب.

(٤) استخدام وسائل للضغط على المخدومين بدلاً من مساعدتهم والصلاة معهم لإستعلان مشيئة الله في حياتهم.

(٥) روح التحكم دون روح الدعم والمساعدة.

(٦) السعي إلى اعتمادية المخدومين بشكل مطلق على الكاهن وتوجيهاته.

(٧) التصلب وعدم المرونة في الحوار تحت شعار: "أنا كاهن لا تراجعني!!"

(٨) انعزال الكاهن بعيداً عن شعبه بحيث يحيط نفسه بهالة معينة تبني حواجز سميكة بينه وبينهم وتجعله غير متاحاً لهم.

(٩) تحويل الكنيسة إلى مؤسسة شخصية متمركزة حول الكاهن وحاشيته دون أن تكون مؤسسة إلهية متمركزة حول المسيح وكلمته.

(١٠) استنزاف كل مجهود الكاهن وتوجيه كل طاقته في الحفاظ على سلطته بدلاً من الاهتمام بالمخدومين ورعايتهم.

(١١) التحكم في المخدومين بواسطة نوبات الغضب والتهديد والصياح.

(١٢) عدم سماح الكاهن للمخدومين بالتعبير عن رأيهم المخالف لرأيه ومعاقبة المختلفين إما بالتجاهل أو النبذ أو التشهير "الخصاء الفكري للمخدومين".

(١٣) التحكم في المخدومين عن طريق رسائل الذنب وحملهم على الاعتذار على خطأ لم يرتكبوه.

(١٤) الكاهن المتسلط يضع توقعات غير عملية على عاتق مخدوميه ولا يشعرهم قط بالرضا عن أدائهم.

فضيلة الحكمة

الحكمة هى إحدى صفات روح الله القدوس المذكورة فى (أش ١١:٢) [ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب].

والحديث عن الحكمة حديث شيق ومعزى لأنه حديث عن شخص الرب يسوع المسيح إذ هو أقنوم الحكمة [أنا الحكمة، أسست السموات بالفهم].

والحكمة هى الفضيلة التى دعانا المسيح أن نتمسك بها لكى نستطيع أن نعيش وسط هذا العالم الشرير إذ قال: [ها أنا أرسلكم مثل حملان وسط ذئاب ... فكونوا حكماء كالحيات](لو ١٠:٣)، إذاً هذه هى الفضيلة التى تمكن الحمل أن يعيش وسط الذئاب!

+ ولذلك فقد إعتبرها القديس أنطونيوس أنها أول الفضائل وسماها فضيلة الإفراز وعلمنا أن كل فضيلة لا نمارسها بروح الحكمة قد تنقلب الى رذيلة .. فالصوم بدون حكمة قد يضر الصائم جسدياً، والصمت بدون حكمة قد يكون رذيلة لأنه يوجد وقت لابد فيه أن نتكلم، والتعليم والوعظ بدون حكمة قد يضر السامعين لأنه ليس حسب مستواهم .. والعطاء بدون حكمة قد يؤذى من أعطيته فقد تعطى سكيراً فيشرب خمراً.

+ ولذلك نجد أن كل إنسان محتاج الى فضيلة الحكمة: الكبير والصغير، العالم والجاهل، الفقير والغنى، الرجل والمرأة .. لذلك فهى الفضيلة الوحيدة التى قال عنها الكتاب: " إن كان أحد تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يُعير فسوف تُعطى له" (يع ١:٥).

+ ولأن الحكمة هى شخص المسيح المبارك المذخَّر فيه كل كنوز الحكمة والعلم، فإن الله يفرح بالإنسان الذى يطلب الحكمة، لأنه يطلب شخص المسيح .. ولهذا مدح سليمان الحكيم الشخص الذى يطلب الحكمة قائلاً: [طوبى للرجل الذى يجد الحكمة .. تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص، هى أثمن من اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها، فى يمينها طول أيام وفى يسارها المجد والغنى، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام هى شجرة حياة لممسكها والمتمسك بها مغبوط] (أم ٣: ١٢-١٨).

+ ولهذا السبب أيضا فرح الله بسليمان الملك الذى وعده الله أن يعطيه ما يطلبه فلم يطلب أموالاً ولا نفوس أعدائه بل قال [إعطِ عبدك قلباً فهيماً لأميز بين الخير والشر] (أم٣:٩-١٠).وبهذا الرد كأنما سليمان قال لله: "أعطنى ذاتك لا لذَّاتك، إمتلكنى أنت وقدنى وإرشدنى".

+ والحكماء فى كل جيل لهم كرامة عظيمة بين الناس وتجدهم مقربين من المُلوك والعظماء [الحكماء يرثون مجداً والحمقى يرثون هواناً] (أم ٣:٣٥). وعندما نجد أب إعتراف متميز بروح الحكمة نفرح به ونلتف حوله لنسمع مشورة الله من فمه.

+ والروح القدس هو مصدر الحكمة. فقد قال الرب:[لأنى أعطيكم فماً وحكمةً التى لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها .. لأنكم لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس] (لو ٢١:١٥)

+ فالروح هو الذى يعطيك متى تتكلم ومتى تصمت. وإذا تكلمت فماذا تقول .. وبأى اسلوب تتكلم .. هو يقود أفكارك وقراراتك . وكيف تنفذها .. الروح يقودك ويرشدك كيف تتعامل مع الناس .. البار والشرير .. المؤدب وغير المؤدب .. الهادئ والغضبان .. المتكبر واليائس .. الحزين والفرحان .. الغنى والفقير .. لكل واحد حديث خاص به يعطيك الروح القدس إياه.

+ وأعطانا الرب يسوع أروع الأمثلة فى السلوك الحكيم:

فمع المرأة السامرية لم يوبخها ولم يتعالى عليها بل خاطبها كمحتاج قائلاً: "أعطنى لأشرب". حقاً (رابح النفوس حكيم) ...

ومع المرأة الممسوكة فى ذات الفعل لم يقل أنها لا تُرجم فيكون كاسراً للناموس ولم يقل أنها تُرجم فيهلكها بل تصرف بحكمة .. "انظروا إلى نفوسكم .. من كان باراً بلا خطية فليرمها أولاً بحجر" ...

وفى موضوع الجزية لقيصر لم يقل لا تعطوا الجزية فيكون متعدياً على القوانين بل أعطاهم عظة مختصرة ونافعة: اعطوا ما لقيصر (المال) لقيصر .. وما لله (أى نفوسكم) لله .. لأنه هو مالك نفوسهم.

+ والقديسون أيضًا سلكوا بحكمة:

فعندما دخل بولس الى أثينا إحتدت روحه بسبب كثرة الأصنام فلم يخطئ بلسانه بل مدحهم بحكمة "أراكم متدينون كثيراً". ونادى لهم بالإله المجهول (الذى هو أحد معبوداتهم) أنه لا يسكن فى مصنوعات الأيادى ..

وفى محاكمة بولس بواسطة الفريسيين والصدوقيين قسمهم على أنفسهم "أنا فريسى ابن فريسى" ..

والقديس أبو مقار .. دخل قلاية الراهب الزانى وجلس على الماجور الذى كانت تختبئ تحته المرأة .. وهكذا بحث الرهبان فى كل القلاية ولم يجدوا أحداً فمدح الله أبو مقار"لأنه يستر الخطايا مثل المسيح" ..

وأبيجايل إمرأة نابال الكرملى منعت داود عن الإنتقام لنفسه بالكلام الحكيم والمتضع..

مظاهر الحكمة وعلاماتها:

١ . *السلوك باتضاع* : يقول الكتاب [تأتى الكبرياء فيأتى الهوان. ومع المتواضعين حكمةٌ] (أم ٢:١١) وعندنا قصة رحبعام ابن سليمان الذى جاوب شعبه بغلظة وكبرياء ففقد مملكته.!!

وهكذا السلوك بإتضاع يمنع كثير من المشاكل فى البيوت والكنائس لأن الإتضاع يطرد الشياطين.

٢ .*ضبط اللسان* وعدم التسرع فى الكلام:

ولعل ضبط اللسان هو أهم مظاهر الحكمة حتى أن سليمان الحكيم قال [لو سكت الجاهل قالوا عنه حكيماً] (أم ٢٨:١٧) وقال يعقوب الرسول أن من يضبط لسانه هو رجل كامل وقال الرب [لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك يحكم عليك] وقال القديس أرسانيوس (كثيراً ما تكلمت فندمت، أما عن الصمت فلم أندم أبداً)..

ولعل رد نابال الكرملى بغلظة على عبيد داود هو مثال جيد لخطورة الكلام الموجع الذى يهيج السخط وكذلك كلام زوجته أبيجايل المملوء من الإتضاع كسر حدة غضب داود لأن [اللسان اللين يكسر العظم والكلام الموجع يُهيج السخط] (أم ١:١٥)

٣ .سماع المشورة وعدم الإعتداد بالرأى:

[طريق الجاهل مستقيم فى عينيه، أما سامع المشورة فحكيم] (أم ١٥:١٢).

والرجل الحكيم عنده إستعداد لسماع المشورة .. ويعطى فرصة للآخرين لإبداء آراءهم. ولا يتهكم على أحد ولا يحقر آراء الآخرين. [حكيم القلب يقبل الوصايا] (أم ٨:١٠)، والرجل الحكيم يحس أنه محتاج أن يتعلم دائماً أما الجاهل فيستعلى على التعليم ولا يقبل مشورة أو نصيحة.

كيف أقتنى الحكمة ؟

١ .*بالصلاة والطلب* : [من تعوزه حكمة فليطلب من الله فسوف تُعطى له] (يع ٥:١).

٢ .*التلمذة تحت أقدام روح الله*: وذلك بالمواظبة على قراءة كلمة الحياة التى هى أنفاس الله.

(مز ٧:١٩) [كلمة الله .. تُصير الجاهل حكيماً]

(مز ٣٧ :٣٠، ٣١) [فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالفهم. شريعة إلهه فى قلبه فلا تتقلقل خطواته].

(٢ تى ١٥:٣) [وأنت منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص].

٣ .*السُكنى وسط القديسين:*

[مُساير الحماء يصير حكيماً، ورفيق الجهال يُضر] (أم ٢٠:١٣)

جلس شاول الملك وسط الأنبياء فحل عليه روح الرب وتنبأ مثلهم. وجلس بطرس وسط الخدامين فى منزل رئيس الكهنة فأنكر معلمه.

٤ .*ممارسة وسائط النعمة:*

[الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة. ذبحت ذبحها وأيضا مزجت خمرها. أيضا رتبت مائدتها، أرسلت جواريها تنادى على ظهور أعالى المدينة. من هو جاهل فليمل الى هنا. والناقص الفهم قالت له هلموا كلوا من طعامي، واشربوا من الخمر التي مزجتها، إتركوا الجهالات فتحيوا، وسيروا في طريق الفهم] (أم ٩ : ٦.١).

مقالات في التاريخ المسيحي

القرن الرابع الميلادي

كتابات القديس أنطونيوس:

للأنبا أنطونيوس العديد من المؤلفات التي مازالت أهم المبادئ التي يسير عليها الراهب سواء حديث العهد بالرهبنة أو الراهب القديم. ولكن من أهمها (قطعاً) الرسائل العشرون التي حُفظت في مخطوطة بدير أنبا مقار(كتاب بنفس الأسم صادر عن الدير) وأيضاً وضع لأبناؤه الرهبان قوانين ونُظم رهبانية كثيرة. وأيضاً كتب رسالة خاصة الي رهبان دير النقلون ورسالة لتلميذه ببنودة يحثه فيها على الثبات في قتال الشياطين ويعرفهم فيها خدع عدو الخير ضدهم.

نياحته:

ولما شعر القديس الأنبا أنطونيوس بقرب نياحته أمر أولاده ان يخفوا جسده وأن يعطوا عكازه للأنبا مقاريوس والفروة للأنبا أثناسيوس والملوطة الجلد للأنبا سرابيون تلميذه ثم رقد ممدا على الأرض وتنيح بسلام فى ٣١ يناير سنة ٣٥٦ م وتلقت روحه صفوف الملائكة والقديسين وحملتها الى موضع النياح الدائم.

وقد عاش هذا القديس العظيم ١٠٥ سنة مجاهدا متوحداً ساعياً لطريق الكمال الحقيقي. بركة صلوات هذا القديس الطوباوي تكون معنا جميعاً.

الأنبا مقاريوس أب رهبان الأسقيط (٣٠٠م - ٣٩٧م):-

ملحوظة: يلقب القديس مقاريوس (موضوع حديثنا) بمقاريوس الكبير أو المصري تمييزاً له عن قديسين أخريين أشتهروا بأسم مقاريوس وهم مقاريوس السكندري والقديس الأنبا مقاريوس أسقف أدكو (بمحافظة البحيرة). وقد أشتهروا بأسم الثلاث مقارات القديسين.

القديس مقاريوس هو أول من سكن برية شيهات - حالياً وادي النطرون - حسبما ذكر غالبية المؤرخين فهو يعتبر أب رهبان الأسقيط. وُلد القديس مقاريوس عام ٣٠٠ م في بلدة شبشير - بمحافظة المنوفية - كان والده كاهناً شيخاً لم يرزق بولد وبعد رؤيا ألهية وُلد له الطفل مقاريوس (مقارة حسب النطق الدارج) وكان الطفل ينمو في مخافة الله على يد أبويه المباركين. وبدت النعمة على الشاب مقارة، فكانوا يلقبونه باسم "الشاب الحكيم". وكان جميلاً حسناً في وجهه الممتلئ نعمة. ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية ليرسموه "أغنسطس". وكان حافظاً مخافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة، وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبَّتوه شماساً عليها)، وأجبروه أن يتزوج وكانت هذه رغبة أبواه أيضاً ولكنه كان بقلبه ونفسه مائلاً للوحدة والعبادة والبتولية. فلما تزوج لم يتقدم إلي أمراته أبداً بل ظل حافظاً طهارته. بعد قليل من الزمان ماتت زوجته بعد أن أعترتها حمَّى قليلاً وأصبح حراً بلا قيود. *(وكان وقتئذ في سن الثلاثين)* ولكنه لمحبته للوحدة وحياة الصلاة الدائمة توحد خارج بلدته *(ربما في مغارة أو في مقبرة)* على أن ينزل مساء السبت للبلد حتى ما يحضر تسبحة الأحد والقداس ويتناول من السرائر المقدسة ويتزود بالطعام والشراب ثم يعود الي طقس وحدته. *(عاش القديس غالبية حياته في هذا الطقس والترتيب)*

حادثة صعبة وحزينة:

ذُكرت هذه القصة في مخطوطة كتبها سيرابيون تلميذ الأنبا أنطونيوس (عن روايات رهبان معاصرين لأنبا مقار الكبير). حدث أن سقطت بتول في الخطية وحبلت وخوفاً من الذي أخطأ معها قالت للجميع أن الذي حمَّلت منه هو المتوحد الذي يقيم خارج البلدة. فجاء اليه أهل الفتاة ومعها عدد غير قليل من الناس وقاموا بالإستهزاء به وضربه ضرباً مبرحاً لمدة طويلة وقالوا عنه عبارات صعبة كثيرة طالبين منه كسر نذره بالبتولية والزواج من هذه الفتاة ومع رفض القديس تدخل أحد شيوخ البلد في ضمان القديس بأن يتعهد بمصروفات الفتاة والطفل. وكان القديس يعمل بجهد وعرق وهو يبكي ويقول " ..... يارب المَّر الذي تسمح به لي خير من الحلو الذي أختاره لنفسي". وكان يعطي هذا الشيخ عمل يداه ليبعه ويعطي أبو الفتاة ويشتري له بالباقي ما يأكله. ولما جاءت أيام الفتاة لتلد تعبت كثيراً في ولادتها لمدة ثلاث أيام وقاربت على الموت فعلمت تلك المسكينة أن هذه عقوبة من الله على كذبها وأفتراءها على رجل الله القديس. فقالت لجميع من حولها أن المتوحد برئ وذكرت أسم الذي فعل الخطية معها وبعد ذلك ولدت.

فخاف أهل البلد جداً مما حدث وسارعوا بالذهاب للقديس مقاريوس لتقديم الأعتذار وطلب الحل والغفران على سوء ما فعلوه. فعلم القديس بهذا عن طريق خادمه فقام سريعاً وهرب من المجد الباطل الي البرية.

كان القديس مقار وقتئذ له من العمر ٤٠ عامًا (تقريباً) وسار بعيدا عن البلد ظهر له ملاك الرب (شاروبيم) وسار معه يومين حتى وصلا إلى وادي النطرون ودار معه في المنطقة يومان.وقال له القديس: "حدد لي يا سيدي مكانًا أسكن فيه"، فأجابه: "لا ..... لئلا تخرج منه فيما بعد فتكون مخالفًا لقول الرب" بل البرية كلها لك فأي موضع أردت أسكن فيه". فسكن في البرية الداخلية حيث الموضع الذي فيه دير البراموس اليوم. أقام القديس في هذا المكان بداية من سنة ٣٤٠م وبعد ثلاث سنوات جال في خاطره أن يذهب الي القديس أنطونيوس ليأخذ بركته وأيضاً ليأخذ منه أرشادات في طريق الوِحدة والنسك الذي أختارهما.